نشرت المجلة في عددها السابق في باب تعليقات ومناقشات بحثاً للأستاذ صبحي البصام موسوماً "بـ (تقعيد قاعدة نحوية إضافة الجهات الأربع)، وإتماماً للفائدة تنشر المجلة ثلاثة تعقيبات على البحث المشار إليه وصلتها من الأستاذ حمد الجاسر، والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور جعفر عبابنة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق الأستاذ حمد الجاسر

رئيس تحرير مجلة "العرب"

المملكة العربية السعودية

أُمتعت بقراءة بحث أستاذنا الجليل صبحي البصّام (تقعيد قاعدة نحوية، إضافة الجهات الأربع) الذي نشرته مجلة مجمعنا الكريم(١).

وقد استوقفني منه استشهاده –رعاه الله– على (شرقي) بقول زهير بن أبي سُلْمى:

ثم استمرُّوا وقالوا : إنّ مشربكم ماء بشرقيّ سِلْمَى (فَيْدُ) أو (فَدَكَ)

مشيراً إلى "ديوان الشاعر"، وكنت أحفظ البيت بلفظ : (فَيْدَ) أو (رَكَك)، ولا أزال أذكر ما أورده بعض اللغويين في اسم (رَكَك) ومنه أدركت أنه الموضع المعروف باسم (رَكٍّ) فكَّه الشاعر للضرورة، وكنت قد عُنيت بتحديد الموضعين – بل المواضع الثلاثة (فَيْد) و(رَكَك) و(فَدَك) في القسم الذي خصصته لتحديد المواضع الواقعة في شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية" – وصدر هذا القسم في ثلاثة أجزاء، إلا أن الرواية التي أوردها أستاذنا البصام– على غرابتها– دفعتني لمراجعة الديوان مرة أخيرة بعد مرات كثيرة، لكثرة المواضع التي تعرضت للحديث عنها في شعر زهير.

والأستاذ– أمتعه الله بالصحة والعافية – لم يشر إلى أية طبعة من طبعات الديوان المتعددة، ولدي طبعتان منها، رجعت إليهما، فلم أجد فيهما سوى ما كنت أحفظ، فقلت: ليس غريباً من الأستاذ الجليل – وقد أصبحنا سيَّانِ ينطبق علينا وصفه البليغ: (ثم إني وجدتني قد أخذت السنُّ مني، وتقعقع شَنّي، وانحنت صَعْدتي) [٢]، وأضيف: (وعبث النسيان بما تختزنه الذاكرة، بحيث اختلط، وارتشعت اليد، فعندما تكتب حسناً يبدو خشناً)، ولا ينبئك مثل خبير، فالله المستعان.

ولعل من خير ما أعبر به عن تقديري للأستاذ مذاكرة القراء في هذه الأسماء الثلاثة، لتكررها في الأخبار والأشعار، مذاكرة استفادة واستزادة، وله الفضل في ذلك حيث فتح المجال، وأدع التوسع في تحديدها وما ورد من النصوص القديمة عنها لمن أراد هذا بالرجوع لما أوردته في ذلك الكتاب.

١– **رَكَك:** يبدو أن هذا الاسم لا يخص موضعاً واحداً، فقد ورد في شعر منسوب لأبي دهْبلٍ الجمحي وللعرجي، ولعمر بن أبي ربيعة، والثلاثة حجازيون، ونص ما ورد في ديوان الأول[٣]:

أجَـــزْنَ المـــاءَ مـــن (رَكَـــكٍ) وضَـــوْءُ الفَجْـــرِ قـــدْ وضَـــحَا
فَقُلْـــنَ: مقيلُنَـــا (قَـــرْنٌ) نُبَـــاكرُ مـــاءَهُ صـــبحَا

فـ (ركك) هذا في الحجاز لاقترانه بذكر (قَرْن) الوادي المعروف الواقع بين (مكة) و(الطائف)، ولا صلة له بـ(فيد) البلدة المعروفة في (نجد)، شرقي جبل (سَلْمى)، الوارد في شعر زهير بن أبي سُلْمَى المزني، مُزَينة من أهل الحجاز، ولكن زهيراً ً عاش في كنف أخواله بني عبدالله بن غطفان في (نجد)، وكذا آله، ولهذا قال مزرد بن ضرار الغطفاني يهجو كعب بن زهير:

وأنت امرؤٌ من أهل (قُدْسٍ) و(آرَةٍ) أحلَّتْكَ عبدُالله أكنافَ (مُهْبلِ)[٤]

(قدس) و(آرة) جبلان مشهوران بين (المدينة) و(مكة)، وبلاد مزينة في أكنافهما، و(مُهْبِل) الوارد في البيت وادٍ من روافد وادي (الرُّمَة) الشمالية، يُعْرق الآن باسم (المَحْلاني) يقع بقرب (خط الطول: ٤٢/١٢° وبين خطي العرض: ٢٥/٤٥° و٢٦/١٥°) في شمال (نجد).

و(رَكَك) الواقع شرقي (سَلْمَى) يعرف الآن باسم (رَكّ) وهو وادٍ من أشهر أودية جبل (سلمى) الشرقية، يتجه صوب الشمال، حتى يلتقي بوادي (العدْوة) مجتمع أودية (سَلْمَى) الغربية، ثم يفيض سيولها في روضة (الرِّشاوية) روضة تبعد عن الطرف الشرقي من (سلمى) بنحو عشرين كيلاً[٥]، وفي وادي (رك) قرية بهذا الاسم، ذات نخل، وآبارها عذبة الماء، تبعد عن مدينة (حايل) قاعدة المنطقة نحو سبعين كيلاً، في الجنوب الشرقي، من هذه المدينة، وأكتفي بإيراد شواهد موجزة على هذا مما ورد من كلام المتقدمين:

قال الهجريُّ : وسألت الأشجعيَّ عن (ركك) فقال: ماءة في شعب بـ (سلمى) بين نبهان[٦]، شرقياً.

وقال نصر[٧]: (رِكّ) اسم ماء، وفي الشعر (ركك) وفي "معجم البلدان": (ركك) محلة من محالِّ (سَلْمَى)، قال الأصمعي: قلت لأعرابي: أين (ركك)؟ قال: لا أعرفه، ولكن ها هنا ماء يقال له (ركّ) فاحتاج، ففكَّ تضعيفه زهير:

ثم استمروا، فقالوا: إن موعدكم ماءٌ بشرقي (سلمى) (فَيْدُ) أو(رَكَكُ)

إذَنْ (رك) المعروف الآن شرقي (سلمى) هو (ركك) الوارد في شعر زهير.

ويفهم من جَوِّ قصيدته أنه وصف ركباً متجهاً من شرق (الدهناء) – حيث ذكر (كثبان أسنمة) و(القسوميات) وهما معروفان هناك – متجهاً غرباً، حيث تواعدوا شرقي (سلمى).

٢- **فَيْدُ:** بلدة لا تزال معروفة شرقي (سَلْمَى) أيضاً، هذه بجانبها الشرقي الجنوبي، و(ركّ) بجانبها الشرقي الشمالي، (فيد) بقرب (خط الطول: ٤٢/٣٠° وخط العرض: ٢٧/١٠ °).

و(ركّ) بقرب (خط الطول: ٤١/٢٢°وخط العرض: ٢٧/١٧°).

٣- **فَدَكُ:** اسم (فدك) ليس معروفاً الآن، مع شهرته العظيمة قبل الإسلام، ثم في صدره حين غزا الرسول – صلى الله عليه وسم٠ (خيبر) فاستولى على البلاد، وصالح أهلها من اليهود على البقاء في فلاحتها، على أن للمسلمين الحق في إجلائهم منها، فتم هذا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– بعد ما أخلُّوا بما اشترط عليهم في المصالحة.

وأما (فدك) فالاسم إذ ذاك يطلق على جانب من منطقة (خيبر) الخصبة الواسعة، فبعث الرسول –صلى الله عليه وسلم– علي بن أبي طالب– كرم الله وجه– إلى (فدك)، فاستسلم أهلها من دون قتال، فكانت من البلاد التي أفاءها الله على رسوله، مما لم يُوْجَفْ عليها بخيل، ولا ركاب، فكانت خاصة به، يصرف ما يجبى من غلتها على ما يراه من نفقاته ومصالح المسلمين حيث صالح أهلها على ما صالح عليه أهل (خيبر)، ولكنها لم تقسم غنائم على الغزاة – كما حدث في غنائم خيبر– ولما توفى الرسول– عليه الصلاة والسلام– طالبت ابنته فاطمة وزوجها علي، الخليفة أبا بكر الصديق – رضي الله عنهم– بأن يدع لهما (فدك) إرثاً، فأبى وقال: إنه ثبت قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة". فكان هذا مما أحدث تأثراً استمر طيلة عهود الخلفاء بينهم وبين أقارب النبي –صلى الله عليه وسلم– من آل علي وغيرهم، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فردَّها عليهم، وبعد وفاته عادت على ما كانت عليه حتى

عهد المأمون الخليفة العباسي المعروف، فردها إلى آل أبي طالب، فقال في ذلك دعبل الخزاعي الشاعر:

أصبح وجه الزمانِ قد ضحكا بِردِّ مأمونِ هاشِمٍ فَدَكا

ولن أسترسل في الحديث عن (فدك) فقد فصلته في كتابي "في شمال غرب الجزيرة"[٨].

وعمَّت الجزيرة العربية منذ انتقال قاعدة الخلافة منها إلى (دمشق) ثم (بغداد) وانصراف الخلفاء عنها – عمتها غمرة من الجهل، كان من أثرها أن عاد أكثر سكانها من أبناء البادية إلى عهود الفوضى، فعمَّ العِداء بين القبائل وثارت الفتن، واضطرب الأمن، فلم يستطع المعنيون باللغة أو تحديد المواضع التاريخية التجول في البلاد، واعترى كثير من المسميات من التغيير، بسبب تنقل القبائل، مِمَّا أخفى الكثير منها، ومن ذلك اسم (فدك) وهو اسم غريب عند العامة، الذين كثيراً ما يغيرون الأسماء الغريبة بأسماء مألوفة معروفة، واسم (فدك) عرف منذ عهد سحيق في القدم، فقد ذكر علماء الآثار أنه من المدن التي احتلها الملك البابلي (نيوبند) في القرن السادس قبل الميلاد (٥٦٦-٥٣٩ قبل الميلاد)[٩].

إذَنْ لا غرابة بأن يقول عالم هو الفيروزآبادي محمد بن يعقوب (٨١٧/٧٢٩هـ) حين اتجه لتحديد الأمكنة التي لها صلة بالمدينة المنورة في كتابه "المغانم المطابة في معالم طابة" ما نصه[١٠]: (وأغرب من ذلك أني سألت جماعات من أشراف المدينة الأمراء بها، ومن الفقهاء والسوقة عن (فدك) ومكانها، فكلهم عن بَوَاءٍ واحدٍ: أجابوا بأنه لا يُعرف في بلادنا موضع يدعى فدك. وهذه القرية لم تبرح في أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونها، ناس عن ناس إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبل صغير واقع في طرف أحد، لا يتعلق به كبير أمر؟!).

لقد كان من الميسور لكل باحث يتمكن من دراسة النصوص الواردة عن المتقدمين بمحاولة تطبيقها على مشاهداته في منطقة (خيبر) في عهد استتباب الأمن في هذه البلاد أن يصل إلى ما وصلت إليه من معرفة موقع (فدك) الذي غُيِّرَ اسمه

إلى (الحائط) كما غُيِّرَ اسم موضع آخر بقربه هو (يَديع) بمثناة تحتية بعدها دال مهملة فمثناة تحتية، فعين مهملة على (الحُوَيِّط).

إنَّ (فدك) الذي ثبت لدي ثبوتاً لا يتطرق الشك إليه هو المعروف الآن باسم (الحائط) وهذا الاسم ينطبق على وادٍ كثير النخل، يتبعه عدد من القرى في شرق منطقة (خيبر) تزيد على الثلاثين، ومن أكبر هذه القرى (يَدْيع) المعروفة الآن باسم (الحويط)، وكل المنطقة ملحقة بإمارة (حايل)، بينما بقية ما وفي واحة (خيبر) من القرى تابع لإمارة (المدينة المنورة)، ويقع (الحائط) هذا بقرب خط الطول ٢٩/٤٠°وخط العرب: ٢٥/٥٩°) ويقع في الجنوب الغربي بالنسبة لمدينة (حايل) القاعدة، على نحو مئتين وخمسين كيلاً، بينما يقع جبل (سَلْمَى) بالنسبة لهذه المدينة جنوباً بنحو ستين كيلاً.

و(فيد) و(ركّ) يقعان في سفحها الشرقي، ويقع جبل (سلمى) هذا بقرب (خط الطول: ٤٢/٠٩°وخط العرب: ٢٧/٠٧°).

ممّا تقدم يتضح أن صواب بيت زهير:

..................ماء بشرقي (سلمى) (فيد) أو (ركك)

ولا تفوت الإشارة إلى أن الشاعر زهيراً قال هذه القصيدة حين أغار الحارث بن ورقاء الصَّيْداوي من بني أسد على بني عدالله بن غطفان، فاستاق إبل زهير، ولهذا ورد في القصيدة:

لــئن حلَلْــتَ بجــوٍّ فــي بنــي أســدٍ فـي ديـن عمـروٍ وحالـتْ بيننـا فَـدَكُ
لياتينَّــــك مِنِّــــي منطــــقٌ قــــذِعٌ بــاقٍ كمــا دنُّــس القبطيــةَ الــودكُ

و(خَوَّ) ورد في كثير من المؤلفات مصحفاً (جو) وصوابه بالخاء المعجمة وهو واد في ديار بني أسد فيه منهل يدعى الخوة.

وخو هذا الذي في بلاد بني أسدٍ على ما يتضح من تحديد المتقدمين له ينطبق على أعلى وادي المَحْلاني (أي أعلى وادي مُهْبل) المتقدم ذكره، أي بقرب (خطي الطول: ٤٢/١٠ °و٤٢/١٥° وخطي العرض: ٢٦/١٠° و٢٦/٣٠°)

وعمرو المذكور هو الملك ابن هند، ويبدو أن نفوذه كان ممتداً إلى منطقة (خيبر) وفيها (فدك).

---

(١) "مجلة مجمع اللغة العربية ألأردني" ع٥٥ س٢٢ ذو القعدة – ربيع الآخر ١٤١٩ ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٣) ديوانه ص٧٤.

(٤) "طبقات فحول الشعراء" ٨٩.

(٥) قسم شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية" ٥٩٤/٢.

(٦)"التعليقات والنوادر" ١٤٧٨/٣ و(نبهان) جبل سلمى كان (لبني نبهان) من طيء.

(٧) "الأمكنة والمياه والجبال والآثار" باب مفردات حرف الراء، والكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد أوشكت على الانتهاء من تحقيقه.

(٨) من ص ٢٨٥ إلى ٣١٠ طبع دار اليمامة.

(٩) الدكتور عبد الرحمن الأنصاري "لمحات عن بعض المدن في شمال غرب الجزيرة" مجلة "الدارة" ٨٢/١.

(١٠) ص ٨٢ من القسم الجغرافي الذي نشرته منه.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق د. إبراهيم السامرائي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

إن بيت زفر بن الحارث رُبَّما له من الضرورة التي تضطر الشاعر وإن كان جاهلياً أو متقدّماً أن تفرض وجودها، فجاء الجنوب غير منسوب من أجل الوزن.

وقد أقول مثل هذا في بيت الشريف المرتضى.

إن الضرورة قد حصلت أو فرضت حكمها في بيت امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مُستحقبٍ إثماً من الله ولا واغِلِ

لقد جاء الفعل "أشربْ" مجزوماً وليس من جازم، وكأن المبرد قد استبعد أن يكون هذا فجاء برواية تفرَّد وهي: "فاليوم ألهو غير مُستَحقبٍ".

وفات المبرّد أن هذا قد عرض للنابغة في قصيدة "المتجرّدة" الدالية، في قوله:

وبذاك خَبَّرنا الغرابُ الأسودِ

والوجه: الأسودُ.

ومثل هذا ما كان في مطوّلة زهير:

كأحمر عادٍ....

وهو يُريد "أحمر ثمود" وهو قُدار بن سالف عاقر ناقة النبي صالح – عليه السلام–، وقد ذهب زهير إلى "عاد" لأن "عاداً" ترد إلاّ مع ثمود كثيراً كما في لغة التنزيل العزيز.

لقد أشار إلى هذه الضرورة الأصمعي، وهو الخبير بالأمم القديمة. غير أن الذين كانوا يتعقّبون الأصمعي قد ذهبوا إلى عدم وجود الضرورة لأن "عاداً" في بيت زهير هي "عاد الآخرة" أي ثمود.

أقول: لقد أشارت الآية إلى "عاد الأولى" وهم قوم هود، ولم يكن من إشارة في لغة التنزيل إلى "عاد الآخرة". وكأن هذا الذي سعى إلى هذا من جملة الذين كرهوا الأصمعي لمكانته لدى الخلفاء العباسيين، وانحرافه عن العلويين.

أقول: وقد أتى في الضرورة شيء يشبه هذا، فهذا الحطيئة قد كان له "داود بن سلاّم" في عجز بيت وهو يريد النبي داود بن سليمان –عليه السلام– هذا هو حكم القافية.

ولنا في خبر عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وهو من أوائل النحويين، مع الفرزدق القصة المشهورة. انظر: "نزهة الألباء" للأنباري (ترجمة الحضرمي).

وأعود إلى المعاصرين عامّة الذين لم يفطنوا إلى أسلوب المتقدمين في كَسْع الجهات الأربع بالياء جهلاً منهم بهذه القاعدة.

ولا أعزو بيت الجواهري الذي جاء فيه الشمال والجنوب من غير نسبة إلى ما يقتضيه الوزن، وذلك لأن الشاعر لا يعرف هذا، وهو إن عرفه فلا يجد فيما قاله ضيراً.

وأما توقّف الباحث فيما كان لي في استعمالي "بلدان الشمالي الإفريقي" فأقول: إن هذا بعيد عن القاعدة التي توصّل إليها، وذلك لأن "الشمال"، وهي الجهة، وقد وُصف بصفةٍ نُسبت وفيها ياء النسب، وهذه النسبة تغني عن نسبة

المضاف، وهو "الشمال". ولو قلنا: "الشماليّ الإفريقي" كما أراد الباحث لكان لنا عبارة ثقيلة، والعربية تهرب من مواطن الثقل.

لقد عرفنا هذا في بعض تراجم الرجال، فهذا أبو الحسن الدار قُطْنيّ من كبار رجال الحديث في القرن الرابع كانت نسبته إلى "دار القُطْن" محلة في الجانب الغربيّ من بغداد والنسبة بالياء إلى المضاف إليه وهو "قُطن" وقد خلا المضاف وهو "دار" من الياء.

أقول في تكملة صاحبي المجتهد الألمعي ما يأتي:

أقول: يضاف الشمال والجنوب إلى الشرق والغرب، ولا سيما في عصرنا في مادة الجغرافية وغيرها، فيقال: الشمال الشرقي والجنوب الشرقي، والشمال الغربي والجنوب الغربيّ.

وليس لنا أن نثقل العبارة فَنَكْسع الشمال والجنوب بالياء؛ لما في ذلك من ثِقَل هرب منه المعربون، الفصحاء الأوائل.

أقول: لم تعرض قاعدة صاحبي إلى هذا الأمر الذي نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وليس في شواهده شيء منه.

وأختم هذا التعقيب الموجز وأُحيّي فيه صاحبي المغترب ردَّ الله سبحانه عنا جميعاً هذه الغربة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق د. جعفر عبابنة

الجامعة الأردنية

فيتناول هذا البحث مسألة نحوية تركيبية هي لحوق ياء النسبة للجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب، إذا أُضيفت. وهذه المسألة مدروسة في كتب النحاة في باب المفعول فيه (الظرف). فأسماء الجهات المذكورة هي ظروف

إذا لم تلحقها ياء النسبة، وهي نائبة عن الظرف إذا لحقتها ياء النسبة. وهي عندهم صفات حُذِف موصوفُها؛ فإذا قُلْت: جلستُ شرقيّ الدار، فأصله: جلستُ مكاناً شرقياً من الدار، ثم حذف الموصوف، وحُذِفَ حرف الجر من وأضيفت الصفة إلى مَدْخُولِهِ.

والبحث تنقصه القوة التفسيرية؛ فهو لا يُفَسِّر لِمَ تلحقُ الياءُ أسماءَ الجهات (شمال وشرق وغرب وجنوب) عند إضافتها، ولا تلحق أسماء الجهات الأخرى مثل: أمام وتحت وخلف. وفي نظري أن السبب يعود إلى أن أسماء الجهات الأربع تلك ظروف متصرفة، فيأتي منها الوصف بإضافة ياء النسبة إليها، وسائر أسماء الجهات غير متصرفة عموماً لأنها لا تخرج عن الظرفية إلا قليلاً. فمثلاً: خلف وأمام وغير متصرفين عموماً؛ بدليل لزومهما النصب على الظرفية في أكثر المواضع. ويتمثل تصرُّفهما المحدود في مسألتين فقط. الأولى هي دخول حرف الجرّ منْ عليهما. والثانية ورودهما بدَلَيْن في بيت يتيم من الشعر هو:

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْن تَحْسَبُ أنَّهُ مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفُها وأمامُها

وقد ورد في البحث قول صاحبه (في ص٢٣٩): "أما شمال بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشدّدة (كذا) عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع". والواقع أن شمال هذه هي بكسر الشين لا بفتحها، وليست ممّا هو بصدده، وليس لها صلة بأسماء الجهات الأربع كما أقرّ به هو نفسه.

ولا يخلو هذا البحث من فائدة، على الرغم من أن القاعدة التي يأتي بها قد تكون خطأ، وأن إضافة اسم الجهة المنسوب قد تكون من باب إضافة الصفة على الموصوف، فيكون معنى: "شماليّ العراق" هو الجزء الشمالي من العراق، ومعنى:

"شمال العراق" هو الجهة التي تقع خارج العراق من الشمال. وقد تكون إضافة أسماء الجهات المنسوبة للدلالة على الملاصقة. فإذا قلنا: تقع هذه القرية غربيَّ الموصول، فهي قريبة منها إلى الغرب. وإذا قلنا: غَرْب الموصول، فهي بعيدة عنها إلى الغرب.